ISSN 2335-1160 EISSN2602-5175

مجلة المداد

تأثير العلوم العربية الاسلامية في تحرير العقل في اوروبا

The impact of Arab Islamic sciences on liberating the mind in Europe

هيفاء سليمان الامام*[1]،

[1] الجامعة اللبنانية الدولية liu / (لبنان)،

تاريخ الإرسال :2021-12-21 تاريخ القبول :2021-12-23 تاريخ النشر :2021-12-25

ملخص: إن موضوع "**تأثير الإسلام في أوروبا**" يُشكل مبحثًا مهمًا تناوله عدد من العلماء والباحثين، فحين بدأ احتكاك الاوروبيين بالحضارة الاسلامية كانت نسبة الأمية بين الأوروبيين مرتفعة جداً ، ولم يكن امامهم مصدر حضاري آخر ينهلون منه غير الحضارة العربية الاسلامية المتواجدة على الأرض الأوروبية في الأندلس وصقلية وغيرهما . وقد بدأ اهتمام العلماء الأوروبيين بالعلوم والفلسفة الإسلامية في القرن الثاني عشر، وأدركوا أهمية ما ينبغي أن يتعلموه من العرب، وانكبوا على دراسة تلك العلوم وترجمة المهم منها إلى اللغة اللاتينية .وكان على جميع المدارس الفلسفية الأوروبية أن تكون محيطة بالترجمات من اللغة العربية، إذن جميع أنواع الفلسفة الأوروبية اللاحقة تدين للكُتاب والعلماء العرب . فقد أنشأ العرب المسلمون مؤسسات للتعليم العالي في مطلع القرن التاسع، وفي نهاية القرن الحادي عشر، كان هناك مؤسسات تعليمية تشبه الجامعية في معظم المدن الكبرى . ففي ذلك العصر كانت مدن اسبانية تحتضن اهم وأرقى جامعات أوروبا ، وكانت تخرج عشرات الآلاف من الطلاب الأوروبيين فجامعة مونبيليه انشأها علماء مسلمون ثلاثة احدهم مختص بالطب والثاني مختص بالفلسفة والثالث مختص بالعلوم، وكذلك جامعة ساليرنو في جنوب ايطاليا . كما انشأ العرب جامعتي بادو وبيزا وقد كانت تدرس في هذه الجامعات مؤلفات علماء المسلمين في جميع ميادين المعرفة.

الكلمات المفتاحية: تأثير – الإسلام– أوربا– العلوم.

Abstract:

The topic of "The influence of Islam in Europe" is an important topic addressed by a number of scholars and researchers, when the Europeans began to come into contact with Islamic civilization, the illiteracy rate among Europeans was very high, and they had no other cultural source than the Arab-Islamic civilization on European soil in Andalusia, Sicily and others. European scientists began to pay attention to Islamic science and philosophy in the 12th century, realized the importance of what they should learn from Arabs, and were engaged in studying those sciences and translating the important ones into Latin. All European philosophical schools had to be surrounded by translations from Arabic, so all kinds of subsequent European philosophy owed to Arab writers and scholars. Muslim Arabs established higher education institutions at the beginning of the ninth century, and at the end of the eleventh century, there were university-like educational institutions in most major cities. At that time, Spanish cities were home to Europe's most important and prestigious universities, graduating tens of thousands of European students. The University of Montpellier was established by Muslim scholars, three of them a medical specialist and the other a specialist in...

Keywords: Impact – Islam – Europe – Science.

*Corresponding author, e-mail:h_imamomais@hotmail.com.

- **مقدمة**

إن موضوع "**تأثير الإسلام في أوروبا**" يُشكل مبحثًا مهمًا تناوله عدد من العلماء والباحثين، ومن أبرزهم المستشرق البريطاني وليام مونتغمري واط، فحين بدأ احتكاك الاوروبيين بالحضارة الاسلامية كانت نسبة الأمية بين الأوروبيين مرتفعة جداً ، ولم يكن امامهم مصدر حضاري آخر ينهلون منه غير الحضارة العربية الاسلامية المتواجدة على الأرض الأوروبية في الأندلس وصقلية وغيرهما.

اما بخصوص تأثير العلوم العربية الاسلامية في تحرير العقل في اوروبا فقد بدأ اهتمام العلماء الأوروبيين بالعلوم والفلسفة الإسلامية في القرن الثاني عشر، وأدركوا أهمية ما ينبغي أن يتعلموه من العرب، وانكبوا على دراسة تلك العلوم وترجمة المهم منها إلى اللغة اللاتينية .فالميتافيزيقا(الماورائيات) في الأفكار العربية(المنطلقة من دعوة القرآن في الفكر والتفكر والنظر والتأمل) زودت الفكر الأوروبي بمواد جديدة، ووفرت عالماً جديداً من هذه العلوم الميتافزيقية، وكان على جميع المدارس الفلسفية الأوروبية أن تكون محاطة بالترجمات من اللغة العربية.

- **الاشكالية:**

من هنا يأتي السؤال الإشكالي هل للحضارة العربية الاسلامية فضل على النهضة الفكرية في أوروبا؟ وما هو تأثير العلوم العربية الاسلامية في تحرير العقل في اوروبا؟ وما هو دور علماء المسلمين في انشاء وتأسيس مؤسسات التعليم العالي ودعمها العلمي في اوروبا؟

- **اهمية الدراسة:**

ان لإعادة البحث والدراسة في تأثير العلوم العربية الاسلامية على العقل والدين في اوروبا وتحريرهما من قيود التخلف، اهمية كبيرة في عصرنا الحالي. وذلك بسبب ما نعاني منه من تخلف و انحدار للعلم والمعرفة وابطال استعمال الفكر عند العرب المسلمين ، حيث وصلنا الى ادنى المستويات، بسبب التفسير الخاطئ لديننا الحنيف وتأويل مقاصده بشكل نمطي لا يخدم التاريخ العلمي لحضارتنا ولا حتى مستقبل اجيالنا اللذين يقفون بالألاف على ابواب جامعات اوروبا لنيل بعض من علوم كان لأجدادهم الدور الرئيس في تأسيسها وارفادها بانتاجهم العلمي .

- **اهداف الدراسة:**

ان سبب تطرقنا الى هذه الدراسة هو ضرورة تعزيز الانتماء الى أمة كانت صديقة الشمس حين انارت ليل اوروبا الدامس، حيث كان للفكر العربي المسلم الدور الرئيس في نهضة اوروبا الفكرية وفي ثورتها الصناعية. كما تهدف هذه الدراسة الى العمل على اثبات امكانية استعادة هذا التاريخ العلمي علها تنير عقول الاجيال القادمة في العالم اجمع.

- **منهجية الدراسة:**

وقد استعملت في هذه الدراسة المنهج التحليلي لوقائع التاريخ وحقائقه وعرضها باسلوب عصري شيق.

- **الكلمات المفتاحية:**

العلوم العربية –القوانين الاسلامية– أوروبا –تأثير الإسلام– الفلسفة الأوروبية

- **الدراسات السابقة:**

ولاتمام هذه الدراسة احتجت الى مراجعة عدد من المراجع التي تحدثت عن هذا الموضوع كان اهمها :

1. كتاب ، **تاريخ الدراسات العربية في فرنسا**، للدكتور محمود المقداد
2. وكتاب **فجر العلم الحديث (الإسلام . الصين . الغرب)** ، تأليف: توبي أ. هف وترجمة: د. محمد غصفور

3. وكتاب **اثر العرب في الحضارة الأوروبية**، عباس محمود العقاد .
4. وكتاب **شمس العرب تسطع على الغرب**"**اثر الحضارة العربية في اوروبا**" لزغريدهونكه ،

وكتاب **بيت الحكمة (كيف اسس العرب لحضارة الغرب)** ، لجونثانليونز ، ترجمة مازن جندلي

1.1- المبحث الأول :عبور الثقافة والعلوم العربية الاسلامية الى العقل الأوروبي

ان ميزة التسامح والحرية وقوة الاستيعاب ، التي امر بها الدين الاسلامي في التعامل مع الشعوب التي خضعت لسيطرة المسلمين في اوج الحضارة العربية الاسلامية وصلت الى مرحلة عميقة لم تكن سطحية، ادت الى انتاج مميز في الفكر والعلم ، فعندما أسلم المتعلمون من الحضارات الفكرية الأخرى مزجوا تعاليمهم وأفكارهم بدراستهم للقرآن الكريم وتعاليم النبيﷺ ، وبذلك تكونت ما يسمى بالثقافة الإسلامية المستقلة والمتميزة علمياً.

1. **معابر الحضارة العربية الاسلامية الى اوروبا:**

من الملاحظ هنا ان الثقافة والفكر في الحضارة العربية الإسلامية وصلت الى اوروبا عبر العديد من المعابر كان اهمها:

- **الأندلس:**

تواجدت مراكز رئيسيّة في الأندلس (إسبانيا) وخصوصا طليطلة حيث كانتهي المكان الذي تحققت فيه الصلات بينأوروبا والعرب المسلمين، فقد نشطت حركة **الترجمة** ، وقد درس طلاب أوروبا في جامعات الأندلس الإسلاميّة، ونقلوا علومها إلى بلاد الغرب، وقام أساتذة من المسلمين بالتدريس في الجامعات الأوروبيّة، وكانت هذه الجامعات ذات طراز إسلاميّ، مثل جامعة مونبلييه في فرنسا.

فبينما كان هنالك اتصال ساخن حربي في المشرق العربي،كان المغرب العربي-والأندلس خاصة-يشهد اتصالا حربيا متقطعا،مع سلام متقطع أيضا، رافقت هذه الفترة حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية وعملت فيه مراكزها بنشاط كبير مما أفاد العقل الأوربي فوائد علمية جمة.

- **بلاد الشام عبر الحروب الصليبية:**

احتك الأوروبيون بالمسلمين في الحروب التي دارت بين العالم الإسلامي والعالم الأوروبي، وتعلموا منهم. ومن المسلم به لدى المؤرخينالغربيينأن فترة هذه الحروب قد رافقتها حركة تيقظ في أوروبا يدعوها بعضهم بـ **(النهضة الأوربية في القرن الثاني عشر)** وهي نهضة مبكرة سبقت النهضة المشهورة بعد سقوط القسطنطينية بيد العثمانييينالمسلمينوكان لها أثر كبير في انتقال كثير من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية إلى الغرب الأوربي في أكثر ميادين الحياة الاجتماعية والعمرانية والتنظيمية والعسكرية(محمود المقداد ، (1992) ص37).

وقد لفتت هذه الحروب نظر الغربييناإلى الحضارة العربية وإلى الإسلام،ووجدوا تفاوتا عظيما بينوضعهم المتأخر وأوضاع المسلمينالمتطورة والمتقدمة. وامتد الاحتكاك بينالأوربييناالغزاة والعرب إلى ميدان الزواج والامتزاج العرقي،وليس بسيطا البتة أن يدوم الاتصال بينهؤلاء الأوربيينوالعرب أكثر من قرنينمن عمر الزمان،من حدود سنة١٠٩٥ م إلى سنة ١٢٩٠ م تقريبا.

- **صقلية :**

وكان لكل من صقلية ونابوليفي إيطاليادور في هذه الصلات أيضاإذ «عمل المترجمون في هاتينالنقطتينبحماسة متساوية واتبعوا طرقا متشابهة (محمود المقداد ، المرجع السابق، ص:27.). فصقلية أسهمت بحظ وافر في نقل العلوم الشرقية إلى الغرب وكانت مركز ترجمة نشيطة، وبحكم موقعها وتاريخها كانت ملتقى أجناس ولغات، وسادت فيها اللغات الحية الواسعة الانتشار، اليونانية واللاتينية والعربية، وكانت بها يهود مترجمون أيضًا على نحو ما كان في طليطلة. وفي صقلية ترجم المجسطي من اليونانية إلى اللاتينية مباشرة، وترجم في الأندلس من العربية. وفيها ترجم كتاب البصريات الذي كان بطليموس أخرجه في الإسكندرية، وفيها ترجمت كتب أدبية أخرى.

وتوج فريدريك الثاني أعماله الجميلة بتأسيسه **جامعة نابل** في إيطاليا الجنوبية وأودعها مجموعة كبيرة من كتبه الخاصة، ودرست فيها مؤلفات ابن رشد، وهذا عمل له قيمته؛ لأن أوروبا اعادت فلسفة ابن رشد مدة طويلة. وقيمة جامعة نابل أنها أول جامعة رسمية، وكانت الجامعات الأخرى إلى ما بعد ذلك العهد جامعات أهلية تابعة للأديرة والكنائس، وكانت تقوم على التبرعات والهبات، أما جامعة نابل فقد نشأت ملكية مشمولة برعاية إمبراطور عالم، واستعارت منها بعض الجامعات الأخرى، وعلى الأخص **جامعة باريس** ما لديها من التراجم التي أمر بها فريدريك، ومن الذين تخرجوا في هذه الجامعة توما الإكويني، وأثره معروف في نشر الفلسفة والثقافة الشرقية في أوروبا.

ويكفي صقلية، وهي جزيرة صغيرة بجانب إسبانيا الواسعة، أن تكون قد أسهمت في نقل الحضارة الشرقية إلى الغرب، وأن يكون لها نصيب غير خفي في إيقاظ أوروبا العصر الوسيط من سباتها العميق، وأن تكون برزخًا في نقل جزء كبير من حضارة الشرق إلى الغرب.

- **معابر أخرى:**

واضافة الى هذه المعابر ، كان هناك معابر غير رئيسية للعلوم والفكر العربي الى اوروبا من اهمها:

- **التجارة** بين العالمين الإسلامي والأوربي، وكشفت أعمال التنقيبات عن وجود عملات إسلاميّة في أوروبا الشماليّة وفنلندا.
- انتشار الإسلام في بعض مناطق **أوروبا الشرقية** وغيرها من المناطق.
- **الفتوحات الإسلاميّة** وما تم نقله إلى البلدان المفتوحة.
- **الرحّالة المسلمون** الذين طافوا في العالم الأوروبيّ.

2- أسباب النهضة في أوروبا الغربية :

كان من اهم اسباب ما يسمى النهضة في اوروبا:

1. إحياء العلوم والآداب اليونانية والرومانية القديمة.
2. سقوط القسطنطينية بيد العثمانيين المسلمين.
3. تقلص سلطان الكنيسة.
4. ظهور النزعات الفردية
5. حب المغامرة والحرية والميلإلى الكشوف الجغرافية
6. الحقائق العلمية الجديدة المذهلة
7. الإصلاحات الدينية االمسيحية

8. اختراع الطباعة
9. هجرة العلماء البيزنطييينمع مخطوطاتهم إلى إيطاليا خاصة
10. التجارة مع الشرقوالحروب الصليبية
11. حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية

3- ماذا اخذ الغرب عن العرب:

أخذ الغرب الكثير من العرب، فقد أخذ الغرب من الشرق العقائد السماوية، واستشهد هنا بقول المستشرق Deutsch: " لقد كان القران الكريم هو الحافز الذى دفع المسلمين الى اوروبا ليكونوا بها سادة وملوكا، فبدافع القران رفع المسلمون لواء الحكمة وخدموا العلم والمعرفة ، واحيوا علوم السابقين ، وعلموا الفلسفة والطب والفلك ، وفن البناء فى اسمى صورة بالغرب والشرق على السواء ، مما اتاح لنا ان نصل الى النهضة العلمية الحديثة".

ويثبت عباس محمود العقاد في كتابه الوارد ادناه، أن الأوروبيين تلقوا عقائدهم عن الأسبوع وأرباب الأيام وسلطانها على الأحياء أو على الأحداث والزروع والضروع عن العرب، بل إن الأسماء الإفرنجية للأيام تحمل هذا التأثر بالطابع العربي القديم عن العقائد السماوية(عباس محمود العقاد. ص: 16).

ويتحدث العقاد عن أمثلة كثيرة من فضل علوم العرب في الجغرافيا والفلك والرياضة والطب والكيمياء والطبيعيات، فمثلًا يذكر أن الشريف الإدريسي صاحب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" صنع لملك صقلية روجر الثاني في القرن الثاني عشر كرة من الفضة زنتها أربعمائة رطل رومي ليضع عليها معالم الكرة الأرضية، وقد وضع الإدريسي خرائط لمنابع النيل ووصل إلى فكرة كروية الأرض، أو كما تخيلها "كمثرية"، وهناك الرحالة المشهورون مثل المسعودي وابن حوقل وياقوت الحموي والبيروني، ولكنه يحدد النقطة الفارقة في تقدم الغرب من الناحية المادية وتوقف الشرق عن المنافسة في كلمة سر واحدة هي "اختراع الآلة"، فاختراع الآلة هو الذي ساعد الإنسان الأوروبي على التطور واستخدام العقل بدلًا من عضلاته وتوظيف الآلة فيما كان يقوم به الإنسان، ولهذا الاختراع فضل آخر أنه جعل الغرب يستغني عن الرق والعبودية لأن عمل الآلة أوفر من تشغيل البشر واستعبادهم وإطعامهم، وبهذا الاختراع قفز المجتمع الغربي في نموه المادي بشكل لم يسايره الشرق فيه () د. عبدالبديع عبدالله، مقال بعنوان فضل العرب على الغرب نشر في الأحد 10/05/2020في موقع:middle-east-online.com).

كما ان انطلاق حركة الإصلاح الديني في أوروبا ، التي دشّنها اللاهوتي الألماني مارتن لوثر، هي التي امتدت آثارها تدريجيا وبأشكال متفاوتة خارج موطنها الأصلي. ورغم كل هذه المدة التي تفصلنا عن ذلك الحدث تظلّ استعادة تلك الإصلاحات وما رافقها من تحولات عميقة في اللاهوت المسيحي مفيدة للبعض وملهمة للبعض الآخر وهي التي قامت على تحجيم سطوة "القانون الكَنَسي(*Droitcanonique*) "، ووضعِ حدّ للتوسط والهيمنة والتوظيف وتمييز مجال الدنيا عن مجال الدين، تلك المسائل التي استثمرت فيها كنيسة روما طيلة قرون. فما من أحد في اعتقادنا يجادل في أن الإصلاحات الدينية المتلخّصة في مقولة "بالإيمان لا غير يحصل الخلاص (*Sola fides*)، التي جعلت من صكوك الغفران الرائجة في اقتصاد الغفران آنذاك وسيلة باطلة وغير مجدية، قد شكّلت "ثورة دينية" حقيقية للخروج من مأزق اللاهوت السكولاستيكي، صاغ عناصرها لوثر برفقة رعيل المصلحين الأوائل: توماس مونتسروهولدريخزوينكلي وجون كالفن الخ....

استطاعت تلك الثورة رغم تكاليفها الباهظة ووعورة آلامها –(التعصب الديني، صراعات أهلية دموية، حرب الثلاثين سنة 1618/1648م)– أن تسهم بأنساق متفاوتة وبإيقاعات مختلفة في ادراج تلك المجتمعات ضمن عصر الأنوار والحداثة السياسية.

علينا ألا نغفل أنه بالتزامن مع معالم النهضة في أوروبا كانت ثمة عوامل مساعدة ومشجعة لحركة الإصلاح الديني، حالات تمثلت بظهور الحركة الفكرية، الإقبال على دراسة التراث اليوناني واللاتيني، تشجيع العلوم، إنشاء المكتبات، حلول لغات الشعوب القومية (الألمانية.. الفرنسية.. الإنجليزية ....إلخ) محل اللاتينية، فصار بمقدور هذه الشعوب القراءة والكتابة بلغاتها، اختراع الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، التي عدّها مارتن لوثر من أعظم فضائل الرب على عباده، ثم كان اختراع الورق وهكذا، فاختراع المطبعة والبوصلة والبارود جاء في فترات زمنية متقاربة، حتى أن أحد المفكرين قال بأن المطبعة والبارود والبوصلة غيرت وجه العالم، بل قل خارطة العالم. وسيكون لها شأن كبير في مسار التاريخ والتحولات الاجتماعية الكبرى، وأيضا الاقتصادية والسياسية، حيث من آثارها سنرى الثورة الصناعية، كل هذا بوتيرة قوية لاسيما ابتداء من النصف الثاني من القرن الثامن عشر إلى تاريخنا الراهن اليوم.

وكان ابن رشد–في نظر الأوربيين–ممثل الفلسفة العربية وشارح أعمال أرسطو في القرن الخامس عشروقد انتقلت فلسفته إلى الشعوب اللاتينية على يد ميشيل سكوت M. Scott وروجر بيكون R. Bacon و وهرمان Hermannوبيبنرينان أهمية حركة الترجمة هذه في الثقافة الغربية فيقول: "لن يكون التاريخ الأدبي للعصر الوسيط كاملا إلا حينما نجري–بحسب المخطوطات–إحصاء للكتب العربية التي كان جهابذة القرنينالثالث عشر والرابع عشر الميلاديينيقرؤونها".

وقد أحدث ابن رشد ما يمكن وصفه بالزلزال الفكري في أوروبا، وكانت أطروحته أن هناك حقيقة واحدة فقط يمكن الوصول إليها عن طريقين مختلفين: عن طريق الإيمان، وعن طريق الفلسفة. وعندما يتعارض الطريقان فهذا يعني أن علينا قراءة النص المقدس بطريقة تأويلية، وبكلمات أخرى، البحث عن فلسفة الحقيقة (أو العلم) أكثر أهمية من الإيمان. وبصرف النظر عن ذلك، فإنه ضد القول بخلود الروح، وضد القول بحدوث العالم.

دُرِّست الأطروحات التي قدمها ابن رشد، وتم تبنيها في الجامعات الأوروبية الأولى: في باريس، وبولونيا، وبادوا، وأكسفورد، وهذا ما تسبب بإثارة ذعر في الكنيسة، فقد كانت قوة حججه وفهمه لفلسفة أرسطو قويتين للغاية. في عام 1277، أدان أسقف باريس، وحظر أفكار ابن رشد، وإن لم يكن بكلماته الخاصة، فقد كان عليه أن ينسخ حجج خصم الفلسفة الغزالي. ومع ذلك، كان توما الإكويني هو من انتقد أطروحات ابن رشد في كتابه "ضد ابن رشد"، و"الخلاصة اللاهوتية" الذي وضع اللاهوت مرة أخرى أعلى من الفلسفة.

وهنا لا بد من التمييز بين العلماء والأدباء عند العرب المسلمين، ففي القرن الثالث الهجري صار الأدباء الذين نشأوا حول الخلفاء وفي قصورهم وتعلموا الأدب على تقاليد الفروسية، أدباء من طراز جديد ، يلمّون بكل شيء ، ويشبهون في عصرنا الصحفيين غير المتخصصين الذين يتكلمون في جميع الأمور . ولهذا نجد العلماء يفرّقون بين أنفسهم وبين الأدباء ، حتى قال ابن قتيبة : " من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحداً ، ومن أراد أن يكون أديباً فليتسع في العلوم() آدم ميتز ، (1387هـ/1967م) ،ص:319).

ونلحظ أن الترجمات من العربية إلى اللاتينيةعلى وجه الإجمالكانت تخدم :

- **حاجات عملية:** كالعلوم الطبيةوالصيدلةوعلوم الطبيعةوالكيمياءوالفيزياءوالزراعةوالحيوان والبيطرة.

– أو كانت تخدم **حاجات عقلية:** كالفلسفةوالمنطقوالرياضياتوغيرها.

وكانت هذه الترجمات تؤدي خدمات موضوعية للعلماءوتسد ثغرات في صرح التفكير العلمي والعقلي الناشئ في أوروبا. وقد قام بهذه الترجمات عدد من كبار العلماء من أمثال:

أ – **ألبير الكبير الألماني** (١٢٠٦ –١٢٨٠م) أستاذ الفلسفة واللاهوت وأعظم علماء عصره في التاريخ الطبيعي.

ب – **وروجر بيكون** (١٢١٤–١٢٩٤ م) العالم الإنكليزي الشهيروغيرهما من كبار العلماء الأوربيينآنذاك .

وكانت الترجمات تتناول آثارا منقولة من اليونانية إلى العربية لعلماء وفلسفة وأطباء من اليونانوكانت تتناول أيضا آثارا عربية خالصة لمؤلفينباللغة العربية في مختلف الاختصاصات والمعارف التي ذكرنا آنفا ميادينها .

وقد أحصى **الدكتور ليكليرك Leclerc** في كتابه: (تاريخ الطب العربي)عدد المؤلفات التي نقلت من العربية إلى اللاتينية في القرنينالثاني عشر والثالث عشر فقطفوجدها تزيد على ثلاثمائة ترجمة موزعة كالتالي (LECELERC (L.),Histoire de la medicine arabe,II, ed.,U.S.A.,1971 . P.526):

1. تسعون ترجمة تتعلق بالعلوم الفلسفية والفيزيائيةوالطبيعية .
2. سبعون ترجمة تتعلق بالعلوم الرياضيةوالفلكية
3. تسعون ترجمة تتعلق بالعلوم الطبية.
4. أربعون ترجمة تتعلق بعلم النجوموالكيمياء السحريةalchimie
5. عشر ترجمات منوعة .

ولاشك في أن عددا كهذا من الترجمات وفي موضوعات متنوعة كهذهسوف يحدث هزة في أفكار الغربييننتؤدي بهم إلى تنبيه العقول على واقع جديدوتطلعهم على آفاق رحبة لم يعرفوها من قبلويقر ليكليرك بفضل العلم العربي على أوروبا فيقول :" **شكل العلم العربي نفسههذه المرةالأساس الذي يثري الأدب اللاتيني الذي أصبحت لغته هي اللغة العلمية في الغرب**" .

ث– ويرى **إرنست رينان** Renan. Eأن دخول النصوص العربية في الدراسات الغربية أدى إلى تقسيم التاريخ العلمي والفلسفي للعصر الوسيط إلى فترتين متميزة إحداهما عن الأخرى تماماويضيف إلى ذلك قوله:

"في الفترة الثانية عاد العلم القديمأيضا إلى الغربولكن أكمل هذه المرة في الشروح العربية أو في المؤلفات الأصلية للعلم اليوناني التي كان الرومان يفضلون عليها المختصرات. إلى أن يقول على وجه العموم: «لم تكن الكتب الأولى المترجمة من العربية كتبا فلسفيةإذ ترجم قسطنطينالأفريقي وجربير Gerbert**وأديلاردوبات** Adelardl de Bath وأفلاطون دو تيفولي Platon IIde Tivoli كتبا في الطب والفلك والرياضياتقبل أن يحلم المرء بطلب معلومات فلسفية من فلاسفة كالفارابي وابن سيناء

ج– وكان **ريمون** مطران طليطلة هو صاحب الفكرة الأولى الرئيسية في الترجمةولما كان مستشارا أكبر لقشتالة من سنة ١١٣٠ إلى سنة ١١٥٠ مفقد كون حوله معهدا من المترجميننجد على رأسه آنذاك كبير الشمامسة دومينيك غونديسلافي،Dominique Gondslavi كما أن بعض العرب كان يساعد في الترجمة أحيانا.

وكانت أولى محاولات الترجمة الفلسفية عن ابن سيناوقام بها جيرار دو كريمونوألفريد مورلي Alfred Morlay ثم تناولا بعد ذلك أبحاثا للكندي والفارابيوبذلك "أصبحت كتبا هامة جدا في الفلسفة العربية معروفة منذ النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي لدى اللاتين"(محمود المقداد ، المرجع السابق ، ص: 26).

وكان نشاط التجارة الفكرية والسرعة التي كانت الكتب تنتشر بها من مميزات العصر الوسيط، حتى أن كتابا مؤلفا في المغرب أو القاهرة كان يعرف أحيانا في باريس وكولونيا في وقت أقل مما يتطلبه أي كتاب هام في أيامنا للانتقال من ألمانياعبر نهر الراينإلى فرنسا(محمود المقداد ، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ص:27).

وكانت الترجمة تتم إما مباشرة من العربية إلى اللاتينيةوإما بطريق غير مباشرة من العربية إلى العبرية أو الأسبانيةثم منهما إلى اللاتينيةغير أننا نتحفظ كثيرا على هذه الطريقونرجح أن تكون قلة قليلة من الأعمال هي التي سلكته .

وغير خاف علينا ما لتأثير هذه الترجمات عموما في النهضة الأوربيةذلك لأنها ظلت تقدم للغربييحتى فترة متأخرة ثمارها الطيبةكما أن حركة الترجمة إلى اللاتينية استمرت على تفاوت إلى أن بدأت هذه الحركة تتطورتحت تأثير نشأة الدول القومية في أوربا ونتيجة لحركة الاستشراق أو الاستعراب في القرون الخمسة الأخيرةلتصب ترجماتها في قوالب اللغات المحلية التي تفرعت من اللاتينية الأمأو إلى اللغات القومية الأخرى التي لا تمت إلى اللاتينية بصلة سوى كونها لغة الثقافة العامة في أوربا في العصر الوسيط وبدايات عصر النهضة الأوربية الحديثة .وقد لخص المستشرق الفرنسي المشهور إدغار بلوشيهBlochet . E أثر العلم العربي وترجماته في الغرب الأوربي بقوله إن ما اصطلح على تسميته بالنهضة الأوربيةLa Renaissmce لم يكن ليكون لولا اتصال الأوربييبالعرب المسلمينوحضارتهموهو يذكر بحماسة هؤلاء الأوربييونهم يقبلون على دراسة هذا العلم العربي(BLOCHET(E.) ,Les sources orientales de la Divine Comedie,Paris,1901. P.XI-XVI).

4- <u>اقوال الغرب عن فضل الحضارة العربية :</u>

ولا بد في هذا المجال من ذكر بعض اقوال علماء الغرب عن حضارة وعلوم العرب واثرها في نهضة اوروبا:

- **يقول الفرنسي جوستاف لوبونفي كتاب حضارة العرب عالمية الحضارة الاسلامية :** "لم يقتصر فضل العرب والمسلمين في ميدان الحضارة على أنفسهم فقد كان لهم الأثر البالغ في الشرق والغرب فهما مدينان لهم في تمدنهم، وإن هذا التأثير خاص بهم وحدهم فهم الذين هذبوا بتأثيرهم الخلقي البرابرة".
- **ويقول المستشرق الكندي رينيه جيبون:** "لم يدرك كثير من الغربيين قيمة ما اقتبسوه من الثقافة الإسلامية ولا فقهوا حقيقة ما اخذوه من الحضارة العربية في القرون الماضية".
- **ويقول المستشرق الألماني شاخت جوزيف متحدثاً عن الشريعة الإسلامية والتي لعبت دوراً هاماً في الحضارة الإسلامية:** "إن من أهم ما أورثه الإسلام للعالم المتحضر قانونه الديني الذي يسمى بالشريعة وهي تختلف اختلافًا واضحًا عن جميع أشكال القانون إنها قانون فريد فالشريعة الإسلامية هي جملة الأوامر الإلهية التي تنظم حياة كل مسلم من جميع وجوهها.
- **يقول مونتيميغري** : " عندما ينظر المؤرخ الإسلامي إلى تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، سيُفاجأ بقوة الحركة الصليبية وعمقها، والمكانة المهمة المأخوذة من الصورة الجديدة عن الإسلام في النظرة المستقبلية الأوروبية"(أحمد أمين الشجاع ،ص156).

2.1- المبحث الثاني:دور مؤسسات التعليم والجامعات الاسلامية في نهضة أوروبا

<u>-نشأت مؤسسات التعليم الاسلامية:</u>

لم تكن أوروبا في بدايات العصور الوسطى تعرف شيئاً عن كبريات المراكز السياسية والثقافية والتجارية الإسلامية ، مثل بغداد والقاهرة ودمشق وقرطبة . وقد أثبت العرب أنهم بناة مدن عظام ، وكانت هذه المراكز الحضرية

أساسيةً للمشروع الإسلامي ، فهي التي أمنت أماكن تلاقي الأفكار ، ومستودعات حفظ الكتب ، ودور سكن العلماء ، والمساجد الضخمة التي كان يستطيع فيها هؤلاء أن يلقوا محاضراتهم أو دروسهم . وحوت حوانيت المشتغلين بلوازم مهنة الفكر من نساخين وصناع ورق ، وكتبيين ، وباعة كتب . وولد أصحاب حوانيت وتجار المدن من الفوائض النقدية وأوقات الفراغ ما جعل الحياة الفكرية ممكنة في المقام الاول . وبما اتسمت به الحياة في المدينة العربية من تقسيمٍ للعمل ، كان ثمة متسع كبير للمفكر والمدرس والكاتب .

ويرى جورج مقدسي في كتابه "نشأة الكليات.. معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب" (محمود سيد محمد وتقديم: بشير موسى نافع/ مدارات للأبحاث والنشر/ طبعة الأولى 2015)أن الجامعات الغربية نشأت مستقلة اعتبارا من النصف الأول من القرن 17 وحتى النصف الثاني من القرن 18، أي قبل الثورة الأميركية، نشأت الكليات التعليمية في المستعمرات البريطانية الجديدة بطريقة غير رسمية على هيئة مؤسسات وقفية خيرية وكانت تتمتع بالحق المميز الذي تختص به الجامعات وهو منح الدرجات العلمية، ويعود هذا النمط إلى كلية "ميرتون كوليج" البريطانية التي تأسست عام 1264م وكانت نموذجا للكليات التي أنشئت لاحقا في المملكة المتحدة في أكسفورد وكامبريدج.

ويركز الكتاب على ان "الكلية الإسلامية" ويناقش طريقتها المدرسية، ونتاجها التعليمي خاصة في القرن الرابع الهجري الموافق للقرن 11 الميلادي في بغداد، وهي الحقبة المكانية والزمانية التي ازدهرت فيها هذه المدرسة. ويناقش وجود نظائر وتشابه وتطابق في المسارات والاتجاهات" المستخدمة في طرق التدريس، معتبرا أنها ليس مجرد متشابهات، فحتى المصطلحات الفنية تتطابق في حالات كثيرة.

وأطلق مقدسي اسم "الكلية" (بالإنجليزية College) على مؤسسة التعليم الإسلامية، وليس الجامعة، للاختلاف في الأسس التي استندت إليها الجامعة في السياق الغربي، باعتبار أن الكلية تنشأ من مبادرة شخصية وقفية بينما ولدت الجامعة باعتبارها هيئة مرسمة تتمتع بامتيازات وحقوق وحماية، ولم يعرف تاريخ التجربة الإسلامية نظام الجامعة كما شرح مقدسي .

ويبدأ مقدسي عمله حول تاريخ التعليم في الإسلام بدراسة نشوء وتطور المذاهب الفقهية الإسلامية، والعلاقة الوثيقة بين المذهب ومؤسسة المدرسة باعتبارها تطورا نوعيا في معنى التعليم وهدفه (مقارنة بحلقة المسجد مثلا)، ولأن المدرسة لم تكن ممكنة دون الوقف، يذهب مقدسي إلى تقديم واحدة من الدراسات بالغة الأهمية لأصل نظام الوقف وشروطه وأهدافه وعلاقته بالضمير الإسلامي، بحسب مقدمة نافع للترجمة العربية لكتاب مقدسي. ويناقش وجهتي النظر الرئيسيتين بين دارسي الإسلام وأوروبا الوسيطة، حول العلاقة بين نظم التعليم الإسلامية والغربية، وهما **الأولى** التي ترى عدم وجود تأثير كبير للمسلمين على فلسفة التعليم الأوروبي، **والثانية** التي ترى أن قنوات الاتصال في صقلية وإيطاليا والأندلس، بين العالمين الإسلامي والأوروبي، ساعدت في قيام نهضة تعليمية في القارة الأوروبية.

وبحسب مقدمة نافع فإن ثمة فارقا جوهريا في رأي مقدسي بين الوقف الإسلامي ونظيره البيزنطي، إذ يؤسس الوقف الإسلامي طوعا من قبل شخص مسلم ويُمنح، أبديا، وبصورة مستقلة عن الدولة أو أي مؤسسة رسمية أخرى، بينما يُعطي الوقف البيزنطي لمؤسسة الكنيسة، التي هي أصلاً هيئة اعتبارية، لتوزيعه على الفقراء.

ويستدرك نافع قائلاً إن ما بدأ في الظهور في أوروبا الوسيطة كان تغييرا في صفة الوقف، تحت تأثير إسلامي على الأرجح، أسس لوجود الكلية والجامعة، وخلف ذلك فإن تشابها كبيرا يمكن رؤيته في أنماط التعليم ووسائله ومناهجه

بين المؤسسات التعليمية الأوروبية الجديدة (في ذلك العصر) والمدرسة الإسلامية، كما أسس كلاهما للنهج المدرسي الذي يعتبر بداية النهج العلمي الحديث.

واستعرض نموذجا من البرنامج اليومي للمدرسة الصالحية التي أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب –سابع سلاطين مصر في زمن الدولة الأيوبية– عام 641هـ/1243–1244م، وتناول ترتيب المجلس والجالسين في الحلقات، ووظيفة الأصحاب، والدعاء في المجلس، وأيام التدريس والعطلات، وسنوات الدراسة الطويلة.

وقارن المؤلف بين تجربة الغرب المسيحي وتجربة العالم الإسلامي، مؤكدا التشابه في طرق التدريس ووظائفه ومناصبه، والمشابهة في ظواهر مثل تقدم الدراسات القانونية وتدهور الدراسات الأدبية.

ويعتبر مقدسي الجامعة شكلا من أشكال التنظيم الاجتماعي ظهر في الغرب المسيحي في النصف الثاني من القرن 12، مؤكدا أنها لم تكن من نتاج العالم الروماني الإغريقي، كما لم تنشأ بداية من المدارس الأسقفية أو مدارس الأديرة التي ظهرت قبلها، لأنها كانت تختلف عنها في تنظيمها ودراساتها.

وفي مقابل الجامعة التي وصفها بالغريبة على التجربة الإسلامية، فإن الكلية بصفتها مؤسسة خيرية قائمة على الإحسان والصدقات، كانت أصيلة في نظام التعليم الإسلامي لارتباطها بنظام الوقف، وأنشئت أول كلية في الغرب اللاتيني في باريس عام 1180م على يد اللورد جوكيوس الذي كان قد عاد لتوه من زيارة القدس، وكانت أشبه بنُزل للطلاب الفقراء()جورج مقدسي، نشأة الكليات؛ معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب، المرجع السابق،).

1. 2– دور المسجد في الحركة العلمية الثقافية[1]

كان المسجد عند المسلمين يمثل المركز العلمي الذي يتلقون فيه العلوم والمعارف على أيدي العلماء0 ولم تكن لهم مدارس خاصة بالتعليم والتدريس0 لذلك كان اعتمادهم في حياتهم العلمية على المسجد وهو ما سلكه الأندلسيون. فقد كانوا (يقرأون جميع العلوم في المساجد بأجرة) .

ومن الملاحظ ان هناك شيء من التشابك بين التعليم المدرسي والتعليم الجامعي؛ فكلاهما ابتدأ في المسجد (الجامع) ، كما أن كلمة جامعة مؤنث كلمة جامع، لذلك كان مكان الدين ومكان التعليم العالي مرتبطين تمام الارتباط. وليس لهذا مثيل في الثقافات أو اللغات الأخرى. وتُعد بعض المساجد من أقدم الجامعات في العالم، فما زالت الجامعات التابعة للمساجد بما فيها القرويين والأزهر قائمة حتى اليوم بعد أكثر من ألف سنة من تأسيسها. ويُعد الأزهر مركزاً محورياً للتعلم العالي في مصر، منذ جذب زبدة المفكرين، وجاءت شهرته من عراقته وخريجيه اللامعين؛ فابن الهيثم الذي غير تاريخ الفيزياء أقام هناك زمناً طويلاً، وابن خلدون عالم الاجتماع في القرن الرابع عشر كان مدرّساً فيه.

لم تكن الجامعات التابعة للمساجد تستقبل الطلبة المحليين فحسب، بل يرد إليها طلاب من مختلف أنحاء العالم. وهكذا كانت الجامعات العباسية في بغداد تعلم الطب وعلم الأدوية والهندسة والفلط وغيرها من المواد. وبغداد استقبلت طلاباً من جميع المدن الاسلامية كما كان من بين طلبة الأزهر أعداد كبيرة من خارج القاهرة. وقد خُصص للطلبة أجنحة سكنية مجانية تشتمل كل ردهة فيها على مكتبة ومطبخ وحمامات.

---

[1]) يذكر عبد الحليم منتصر في كتابه تاريخ العلم، أنه وإلى جانب تدريس العلوم الأخرى من أدب ولغة ومنطق وطب وفلك وأن السيوطي ذكر أن دروساً مختلفة رتبت في الجامع الطولوني وأن عبد اللطيف البغدادي أشار أيضاً إلى أن درساً في الطب كان يلقى في الأزهر في منتصف النهار من كل يوم ولا شك أن ذلك كان صورة عامة للتعليم عند المسلمين. عبد الحليم منتصر: **تاريخ العلم ودور المعلمين العرب في تقدمه** ، دار المعارف –مصر، مطبعة دون بوسكو – الاسكندرية، ط4، 1971م. ص54– 55 0

وكان في هذه الجامعات، كغيرها من الجامعات المرموقة، مكتبات استثنائية غير عادية، فيها كتب كثيرة، معظمها من هبات شخصية. كان بجامع الزيتونة في تونس، مثلاً، مخطوطات القواعد والمنطق والتجريح والتعديل وأصول البحث وعلم الكون والحساب والهندسة والمعادن والتدريب المهني. وكان في مكتبة عاتكة في القيروان التونسية ترجمة عربية لتاريخ الأمم القديمة الذي ألفه القديس جيروم (St. Jerome) قبيل 420م.

كان التدريس على شكل حلقات، حيث يجلس الطلبة أمام المدرس على شكل نصف دائرة، ويُتاح للأساتذة الضيوف الجلوس إلى جانب المدرس دلالة على الاحترام. وعلى سبيل المثال كانت تعقد في مسجد عمرو جنوبي القاهرة أكثر من أربعين حلقة في بعض الأوقات، وفي الأزهر مئة وعشرون حلقة. وكانت المقررات الدراسية صعبة، والطب بوجه خاص يرقه الطلاب، كما هي الحال في جامعات اليوم، إذ كانت امتحاناته صعبة. ولا يُسمح للطالب بممارسة مهنة الطب إذا حصل على درجة أدنى من المقبول، ويعد حينئذ غير مؤهل لذلك. وبهذا النظام أسس المسلمون التعليم العالي: وضعوا نظام امتحانات القبول، والامتحانات النهائية، والشهادات العلمية، وحلقات الدراسة، والمنح الدراسية، وقبلوا طلبة من مختلف البلدان. والواقع أنه كان هناك تطابق ملحوظ مع الإجراءات التدريسية في جامعات اليوم.

ولما كانت قرطبة تمثل قطب الرحى في النشاط العلمي باعتبارها حاضرة الخلافة ودار الملك فقد حظي جامعها الشهير بمكانة علمية لا تضاهى، فكان دوره عظيماً في نشاط الحركة العلمية في عصر الخلافة وما تلاه من عصور حيث ضم بين أروقته حلقات العلم والدرس. وكان طلاب العلم يدرسون في جامع قرطبة[1] المذكور علوم الدين والأدب والتاريخ والجغرافية والطب والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم، ويتسامح الكثير من الكتاب المعاصرين في إطلاق صفة الجامعة على ذلك الجامع فيذكر توماس إرفنجThomas Irving أن الخليفة الحكم المستنصر قدم الكثير من الجهود الموفقة في سبيل تطوير ورقي جامعة قرطبة0 كما أن جبرائيل جبور يذكر نقلاً عن نيكسون Nichson أن قرطبة كانت آنذاك من أهم الأوساط العلمية وكان في جامعها– أو إن شئت فقل في جامعتها – العالم **أبو بكر القرشي** يحاضر في الحديث والأديب الكبير **أبو علي القالي** يبحث مع الطلاب في أدب العرب، و**ابن القوطية** يلقي دروسه في النحو(ابن عبد ربه، ت 328هـ، ص:44) وبالإضافة إلى ذلك يشير عبد الكريم التواتي إلى جامع قرطبة ويضفي عليه من الصفات الجامعية ما يجعله قريباً من الوصف الحديث للجامعات فيقول: **(وتتميماً للعمل العلمي أمدّ الحكم جامعة قرطبة بكل ما تتطلبه من امكانيات بشرية ومالية وعيّن أخاه المنذر عميداً0 ثم أخذ هو بنفسه يقضي جل أوقاته بين أبهائها وأروقتها يطالع ويقرأ)**(عبد الكريم التواتي : ، 1967م، ص:660-661). ويذكر روم لاندو Rom Lando وأن تلك الجامعة التي أسسها الخليفة عبد الرحمن الناصر– في زمن سابق على إنشاء كل من الجامع الأزهر والمدرسة النظامية – كانت مركزاً للمعرفة للمسلمين والنصارى الوافدين من المشرق وأوروبا.

---

[1]) جامع قرطبة: أعاد عبد الرحمن الأول "الداخل" بناء جامع قرطبة سنة 169هـ/785م، بعد هدم الجامع القديم وضم أرض صغيرة مهجورة كانت تقوم عليها كنيسة سان بنجنت. وشهد هذا الجامع توسيعات، الأولى: سنة234هـ/ 848م في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني"الأوسط"، والثانية سنة 350هـ/961م عهد الخليفة الحكم الثاني "المستنصر". والثالثة سنة 379هـ/989م في عهد الحاجب بن أبي عاملر "المنصور". وتبدوا فيه المؤثرات الشامية المقتبسة من الجامع الأموي في دمشق، وإن كانت عقود جامع قرطبة هي أكثر إجادة وروعة.

ومما يؤكد هذا الطابع لجامع قرطبة أن المصادر التي تناولت تاريخ الأندلس وتراجم علمائه تشير إليه وإلى جامع مدينة الزهراء[1]التي بناها عبد الرحمن الناصر باعتبارهما المركز العلمي الذي يجتمع فيه العلماء ويفد إليه طلاب العلم لاكتساب المعرفة0 فقد كان الأديب اللغوي أبو علي القالي يعقد مجالسه العلمية في جامع الزهراءفتتقاطر أفواج الطلبة عليه للأخذ عنه وذلك في كل يوم خميس0 وكان يحضر عنده أكثر من أربعمائة من طلاب العلم في وقت إملائه الأمالي(الإشبيلي: ريحان الألباب (مخطوط) ورقة 1139 0) بل إن بعض حلقات العلم كانت تضم أعداداً هائلة من التلاميذ فيشير الحميدي إلى أن الأديب **عبد الملك بن زيادة الله السعدي التميمي (ت450هـ/1058م)** كان يجتمع إليه في مجلس الإملاء بجامع قرطبة خلق كثير.

ولا ريب أن فيما تقدم دلالة على أن الجامع كان آنذاك مقر العلم والتعليم الذي يؤدي رسالته في تعليم الناس وفتح المعرفة لهم والرقي بحياتهم الدينية والدنيوية . واتصف جامع قرطبة في عصر الخلافة بالنشاط العلمي الكبير فقد كان بمثابة مصدر إشعاع أضاء للأندلسيين ولغيرهم الكثير من دروب المعرفة التي قادتهم إلى درجة رفيعة من الحضارة فكان الطلاب يتوافدون إليه من شتى أنحاء البلاد بل من جميع أنحاء العالم الإسلامي والمسيحي[2] على حد سواء في جوٍ اتسم بالتسامح والود من جانب المسلمين(زيغريدهونكه: ، ص:398) ولم يكن جامع قرطبة وجامع الزهراءهما الجامعان الوحيدان في أداء هذه الحالة العلمية بل إن مدن الأندلس الأخرى كانت تضم في جوامعها حلقات العلم وندوات الدرس0 وأشهر تلك المدن أشبيليه، وطليطلة، وشاطبة، ومرسيه وغرناطة من المدن التي شاركت في حركة البناء الحضاري والتطور العلمي بما قدمته من نشاط كبير تمثل فيما أخرجته تلك المدن من علماء أجلاء كان لهم إنتاج علمي في حقول المعرفة المختلفة وسوف نتعرض فيما بعد لأبرزهم في حقول المعرفة والعلم() عبد الرزاق بلعقروز، جذور أزمتي التربية والتّعليم في العالم الإسلامي، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2/ الجزائر/ 25/10/2015) . كما ان هذا الجامع كان بحد ذاته غاية في العظمة في بنائه وهندسته وأصبح أعظم جامعة عربية في أوروبا في العصر الوسيط، فكان **البابا سيلفستر** الثاني قد تعلم في هذا الجامع يوم كان راهباً كما أن كثيراً من نصارى الأندلس كانوا يتلقون علومهم العليا فيه، واستأثر المسجد في الأندلس بتدريس علوم الشريعة واللغة إضافة إلى العلوم الأخرى.

وكان من المجمّعات الجامعية الفخمة في المساجد مجمع جامعة القرويين في مدينة فاس بالمغرب. بَنَت فاطمة الفهري هذه الجامعة في أثناء حكم الأدارسة عام 859م، فبعد أن ورثت الكثير عن أبيها الثري قررت أن تنفق ميراثها كله على بناء مسجد وجامعة تناسب مجتمع فاس. اشترطت أن تكون مواد البناء كلها من أرض الموقع، وعند البدء بالعمل شرعت بالصوم حتى أنجز البناء الجامعي. لم تكتفِ بتمويل المشروع فحسب لكنها أشرفت على تشييده بنفسها. والجدير بالذكر أن أختها شيدت مسجداً كسائر المساجد بالقرب منه.

---

[1]) جامع مدينة الزهراء: استغرق الخليفة الناصر لدين الله عشر سنوات (325–336هـ/937–947م) في بناء المدينة الجديدة التي أسماها "الزهراء"، كما قيل تكريماً لذكرى جارية له تحمل هذا الاسم ، أو نسبة للقصور الزاهرة التي أنشأها في هذه المدينة التي تبعد ثمانية كيلومترات شمال غرب قرطبة، وقد أوكل الناصر إلى إبنه وولي عهده الحكم الثاني " المستنصر" مهمة الإشراف على بناء المدينة قبل أن ينتقل إليها سنة 336هـ/947. أما جامع الزهراء، فتم بناؤه في ثمانية وأربعين يوماً ، وكان صحنه مفروشاً بالرخام الخمري اللون، تتوسطه فوارة يجري فيها الماء، وعندما تسلم الخلافة الحكم350هـ/961م، أنجز نهائياً بناء مدينة الزهراء في سنة 365هـ/975م. أحمد مختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية 1968م ، ص:22.

أرادت فاطمة الفهري أن تقدم لمجتمع فاس مركزاً للتعليم، فسرعان ما تطور مسجد القرويين، كغيره من المساجد الفخمة، إلى مكان للتعليم الديني والمناظرات العلمية، وتوسّع تدريجياً في الموضوعات التي يتناولها طلابه، وخاصة موضوعات العلوم الطبيعية، فاكتسب شهرة بوصفه أول جامعة في التاريخ. وكانت الجامعة حسنة التجهيز وخصوصاً بالأدوات الفلكية، وكان في غرفة التوقيت إسطرلابات وساعات وأدوات أخرى لحساب الزمن.

كان الطلبة يدرسون فيها علوم الدين والقرآن الكريم والقانون والبلاغة وفنون النثر والشعر والكتابة والمنطق والحساب والجغرافيا وعلم الطب إلى جانب الفلك، وكان في برنامجها مقررات قواعد اللغة والتاريخ الإسلامي ومبادئ الكيمياء وعلم الرياضيات، ولذا كن تنوع الموضوعات وجودة تدريسها يجتذب العلماء والطلبة من أنحاء العالم كلها، فكثر المتقدمون إليها بحيث اذطرت الجامعة لإدخال نظام اختيار صارم، مثلما تفعل جامعات اليوم، وكانت شروط القبول حينذاك تشمل حفظ القرآن كله، وإتقان العربية، وإحاطة حسنة بالمعارف العامة. ولم يكن الطلبة في جامعة القرويين يدفعون رسوماً، بل كانوا يمنحون إعانات نقدية للطعام والسكن، كان ذلك بفضل الهبات التي تقدمها الأوقاف وعائلات الأثرياء. وكان الطلبة يقيمون ضمن مبان من طابقين أو ثلاثة يسع كل منها ما بين ستين طالباً ومائة وخمسين طالباً.

وكان جامع المنصور ببغداد وهو أقدم مسجد جامع بها ، أشهر مركز للتعليم في المملكة الإسلامية . ويحكى أن الخطيب البغدادي لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث شربات ، وسأل الله عز وجل ثلاث حاجات أخذاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم : ماء زمزم لما شرب له ، فالحاجة الأولى أن يحدث بتاريخ بغداد ، والثانية أن يملي الحديث بجامع المنصور ، والثالثة أن يدفن إذا مات عند قبر بشر الحافي(آدم ميتز ، (1387هـ/1967م). ص: 332).

ولكن لو قارنا عدد التلاميذ في ذلك العصر لوجدناه صغيراً بالنسبة لما نراه اليوم ، وهذا يدل على كثرة العلماء بالنسبة إلى التلاميذ ، فقد كان أبو حامد بن محمد الاسفراييني المتوفى عام 406 هـ- 1015 . إمام أصحاب الشافعي ، حتى قيل إنه أفقه وأنظر منه ، وكان يدرس بمسجد عبد الله بن المبارك ببغداد ، وكان يحضر مجلسه ما بين ثلاثمائة وسبعمائة فقيه . وكان أبو الطيب الصعلوكي الفقيه الأديب مفتي نيسابور وهي مركز علماء خراسان و ويقال إنه حضر مجلسه أكثر من خمسمائة طالب علم في عشية الجمعة الثالث والعشرين من المحرم سنة 387 هـ- 997 م . وكان يقعد بين يدي أحد أصحاب الجويني " الإمام الفرد " (المتوفى عام 478 هـ - 1085 م) في كل يوم ثلثمائة من الأئمة والطلبة ، هذا على حين أننا نجد اليوم في كشغر مثلاً ، مع أنها ليست مركزاً دينياً كبيراً ، أن أكثر من خمسمائة طالب يحضرون درس أكبر العلماء فيها . وكان عدد الطلاب يعرف بإحصاء محابرهم التي يضعونها أمامهم والتي كانت أهم عتاد الطالب . ولما قدم محمد بن جرير الطبري بغداد قصده الحنابلة ، فسألوه عن أحمد بن حنبل ، وعن حديث الجلوس على العرش فقال : أما أحمد فلا يعدّ خلافه ، فوثبوا ورموه بمحابرهم غاضبين . وكان إذا مات العالم كسر تلاميذه المحابر والأقلام ، وطافوا في البلد نائحين مبالغين في الصياح ، فلما مات الجويني المتقدم الذكر ، وكان خطيباً مشهوراً أيضاً ، كسر منبره ، واشتركت نيسابور كلها في حزن العلماء عليه ، " فلم تفتح الأبواب في البلد ، ووضعت المناديل على الرءوس عاماً بحيث ما اجترأ أحد على ستر رأسه.

3- أثر الدراسات العربية العربية في تحرير الفكر و الجامعة في اوروبا:

كانت المدن الأوروبية في العصور الوسطى فكان أغلبها حصيلةً متواضعة لنمو ثكناتٍ حربية أو مراكز كنسية ، أو أنها تحجرت شيئاً فشيئاً حول بلدات سوقٍ مركزيةً منتشرةٍ على طول طرقات التجارة التقليدية ، ونما بعضها من

مستوطنات تعود إلى أيام الرومان . لكن كل هذا تغير مع بداية انحلال نظام الاقطاع في الريف ، وهجر الفلاحون الأرض التي كانت تكبلهم ليشقوا طريقهم إلى المراكز المدينة المتنامية . هناك ، اشتغلوا بالتجارة ، مستغلين ما أدى إليه توسع التجارة الخارجية وظهور حياة المدن من تحسنٍ عام في الاقتصاد الأوروبي ، جزئياً على الأقل . وسرعان ما انتظمت الكوميونات المدنية الجديدة للدفاع عن مصالحها ضد طبقة النبلاء ، والتاج ، والكنيسة . فأسس أصحاب الحرف وغيرهم من المهنيين نقاباتٍ واتحاداتٍ مهنية لتنظيم العضوية ، وتخفيف حدة المنافسة وحماية أرزاقهم . من هنا أصل مصطلح الجامعة الحديث ، الذي كان يستخدم في البداية لوصف ميدان نشاط او مجموعة أعضاء النقابة المهنية أو المشتغلين بالمهنة ، قبل أن يتبناه الطلاب والاساتذة الذين راحوا يتجمعون بصفة غير رسمية في البلدات والمدن ومع الوقت غابت أصول المصطلح وبقي منه ما نعرفه اليوم بمؤسسة للتعليم العالي(د. محمد حمدان ابو حسان، فضل العرب على الغرب في تكوين الحضارة الانسانية ، مقال حول الكتاب قدمه وليد سليمان صحيفة الرأي http://alrai.com/article/10460012 تاريخ النشر 22-11-2018).

كان مفكرو اوروبا الجدد مختلفين عن مجتمع العصور الوسطى بما كانوا يتمتعون به من درجة مرتفعة من حرية الحركة وبأصولهم المدنية . يمكن تلمس اتساع هذه الحركة في التنوع المدهش للأصول الوطنية لكبار المترجمين العاملين بإسبانيا ، من ألمان ، وإنكليز، واسكتلنديين ، وفرنسيين ، وطليان ، وسلاف ، وغيرهم . ومع ذلك كانوا يشتركون معاً في عددٍ من الصفات المهنة : فكانوا يرون انفسهم رواداً و ليس امامهم وقت للاهتمام بالتقليد القائم، وكانو مستعدين أن يضربوا في الارض طولاً وعرضاً بحثاً عن أفضل الأساتذة وأحدث الكتب ، أو للمشاركة في أكثر النقاشات سخونة في أيامهم . ولم يكن لدى كثير في المؤسسة الدينية سوى الازدراء لطلاب الصنائع هؤلاء . يقول أحد رهبان القرن الثاني عشر متحسراً :" لقد اعتادوا على أن يجوبوا أقطار العالم ويزوروا مدنه كافة ، حتى أصبحوا مجانين لكثرة ما تعلموا، فهم بباريس يسعون لتعلم العلوم العقلية وبأورليان الكلاسيكيات ، وبساليرنو الطب، وبطليطلة السحر ، لكنهم لا يذهبون إلى أي مكان في العالم لتعلم حسن السلوك ومكارم الأخلاق . وكان بعضهم يتسول ليسد قوته أو يعمل خادماً للميسور من زملائه ، وآخرون يغنون ، حقيقة لا مجازاً ، ليكسبوا قوت يومهم . ففي ما قد يعد فاكهة من فواكه الترجمة الذاتية النادرة ".

ويصف مايكل سكوت في مخطوطةٍ غير منشورة قيمة المهارة الموسيقية للمسافر الفقير المتعلم : وما من آلة موسيقية أفضل من القيثارة معيناً على الحياة في أي كان ، بصرف النظر عن العازف ، يعرف ذلك أي شخص يتكسب باللعب عليها من بابٍ إلى باب. فإن هو أجاد اللعب ، كفته مؤونة السفر أينما حل وارتحل في أرجاء العالم المسيحي.

فصناعة التصدير ، يقوم عليها عمال معرفة متعلمون ، ومحبون للاستطلاع ، ومستقلون ، أتوا إلى إسبانيا مشدودين إليها من البلاد الأجنبية سعياً وراء الدراسات العربية . وكانت المنتجات النهائية لهذه الصناعة في صورة ترجمات ، وشروحٍ وأعمال أصيلة ، نادراً ما كانت تبقى حيث أنتجت ، بل مهيأةً للتصدير إلى الأسواق الأجنبية كإيطاليا ، وفرنسا ، وإنكلترا ، التي كانت ملاذاً لتجمعات من الأساتذة والطلاب الذين تنضموا في أوائل القرن الثالث عشر لتكوين أولى جامعات الغرب ، ببولونيا ، وباريس ، وأكسفورد . ولقد كانت النصوص العربية الجديدة المتدفقة من أندلس الأمس جديرة علمياً ، ومتماسكة ، ومتشبعة بمرجعية أرسطو القديمة وعلوم المسلمين المتقدمة. ولم تكن قابلةً لذلك النوع من التفسير المجازي الذي كان العالم اللاتيني يستخدمه في الماضي لحرف أو امتصاص الأفكار غير المسيحية الخطرة .

ولم يكن أثر هذه النصوص العربية في مكان ما أكثر منه عمقاً بجامعة باريس ، التي كانت مركزاً رئيساً للاهوت المسيحي . أخيراً ، في هذا المكان بدا كأن لسان حال الطلاب والأساتذة الشبان يقول : الآن يمكن الاطلاع مباشرةً على التعاليم الفلسفية غير المثقلة بالمعتقدات الكنسية التقليدية ، المتحررة من استبداد أساتذة الزمن الماضي اللاتين الجهلة . وها هي ذي قوة العلم الجديد التي لا تقاوم ، بعد أن أطلقها أول الأمر آديلارد وسار بها من بعده رجال كمايكل سكوت ، تتجه الآن صوب التعليم المسيحي الجامد. ولا بد من أن شيئاً ما سيتحطم(جونثانليونز ، (1435هـ/ 2014م.) ص: 225-227).

1 . 3 – المبحث الثالث:دور العلماء المسلمين في تأسيس مؤسسات التعليم العالي في اوروبا.

جاء الإسلام وقد علم العرب القراءة والكتابة ، والترجمة من اللغات الأخرى في حدود أضيق؛ ولكن الدين الجديد –بما تضمنه القرآن والسنة من إشادة بالعلم والعلماء– كان من أول لحظة إيذانا بميلاد "أمة اقرأ"، التي ستملأ الأرض علما ومعارف وتشغل الناس ثقافة وآدابا.

فقد اكتمل جمع القرآن وتدوينه في خلافة أبي بكر الصديق (ت 13هـ) فكان ذلك إشارة لأهمية التدوين العلمي في حياة الأمة؛ ولكن القرن الأول بأجمعه ظل قرنا للرواية الشفهية لنصوص الإسلام (قرآنا وسنة) ولغته العربية، ولم يشهد حركة تدوين للمعارف المنبثقة منهما إلا في حالات محدودة.

ومع بزوغ شمس القرن الثاني الهجري (100–200هـ) الذي يُعرف بـ"عصر التدوين"؛ تفجرت ينابيع العلوم واكتملت دورة إنتاجها الشفهي، فكان لا بد من استيعابها في أطر صلبة تنقلها من الصدور إلى السطور، فتحفظها من الضياع وتجعلها قابلة للتداول بين الناس والتوارث بين الأجيال.

وفي العصر الحديث اهتم المستشرقون الألمان بالحضارة العربية ولغتها وعلومها ودراساتها ومخطوطاتها النادرة؛ فنشطت الترجمات في بلادهم، ومن أهمها ترجمة القرآن الكريم والعديد من المخطوطات والكتب العربية العريقة، ونالت الجزيرة المتوسطية ذات الماضي العربي عناية خاصة() ليندا نصار – الجزيرة نت 4/3/2021).

ومنذ عام 2017 بدأ المستشرقان **هاينة وكرم** بترجمة قصائد **ابن حمديس** المتعلقة بتاريخ صقلية وتاريخ العرب فيها، حيث تناولا ترجمة ودراسة ابن حمديس من وجهة نظر استشراقية، وتطرقا إلى صقلية في قصائد ابن حمديس المترجمة إلى الألمانية، وهذا ما لاقى عناية من جامعة بون التي تبنت هذه الأنطولوجيا الفريدة في ألمانيا

ومن هناك تم تتبع آثار الحضارة العربية في المدينة والمدن المجاورة مثل شيفالووشيفالا ديانا. في أثناء البحث، وقعا على مخطوطة المؤرخ الإيطالي ميكيلي أماري (توفي 1889) ومواطنه المستشرق تشيلستينوسكيابارلي (توفي 1919)، وهي مخطوطة حول الشاعر العربي الصقلي ابن حمديس (447–527 هـ) (1055–1133م).

أضحت جزيرة صقلية الإيطالية في البحر المتوسط محضنا لثقافة عربية مزدهرة، استمرت حتى بعد سيطرة النورمان عليها عام 1072 للميلاد، واستوطنت القصيدة العربية الجزيرة بدءا من القرن التاسع وحتى القرن الـ12، بما في ذلك زمن حكم الملوك النورمان والاضطرابات السياسية الكثيرة التي شهدتها الجزيرة

ومن ذلك المجهود المعرفي ما قام به في عام 2016 المستشرقان الألمانيان الدكتور سيباستيان هاينه (متخصص بالألسنيات المقارنة باللغات الشرقية والتركية والعربية والفارسية في ألمانيا)، والدكتور سرجون كرم (أستاذ الأدب العربي والترجمة في معهد الدراسات الشرقية والآسيوية في جامعة بون ألمانيا)، حيث توجها إلى مدينة باليرمو – عاصمة جزيرة وإقليم صقلية ذاتي الحكم جنوب إيطاليا– بدعوة من عمدة المدينة ليو لوقا أورلاندو، وذلك للكشف عن كتابات يرجح أنها عربية منقوشة على جدران ما يسمى بغرفة العجائب في باليرمو.

وقد أدت فتوح الإسلام إلى الاختلاط بحضارات مغايرة ونُظم ثقافية متباينة في الملل والنِّحل في العراق وفارس والشام ومصر؛ فجرت مع أصحابها مناظرات جدلية ومثاقفات علمية، واحتِيج إلى الترجمة عن لغاتها والاقتباس من مناهجها في الحِجاج بما يعين على المغالبة الثقافية، فازدهرت سوق الترجمة وتوسعت حتى شملت آنذاك أكثر من عشر لغات، فازداد بذلك نشاط التدوين والنشر اتساعا..

وقد تعزز ازدهار الكتابة والتدوين بعاملين مهمين: أولهما المكانة العالية التي حازها "**كتّاب الدواوين**" (وزارات الدولة وإدارتها) منذ العصر الأموي وازدادت أهميتها أيام ورثتهم العباسيين؛ وثانيهما **استخدام الورق** في الكتابة مع مطلع العهد العباسي، ذلك الاستخدام الذي ترسخ ببناء أول مصنع للورق ببغداد أيام هارون الرشيد في سبعينيات القرن الثاني.

وبذلك عرف الناس "**صناعة الكتاب**" بشقيه: "الأصيل" المؤلَّف و"الدخيل" المترجَم، ثم سرعان ما أصبحت "صناعة الكتاب" صنعة من صنائع المدنية في الحضارة الإسلامية تُدعى "الوِراقة"؛ فتخصصت فيها طائفة وافرة تسمى "الوراقين" ضمت في عضويتها كافة أطياف المجتمع الفكرية والأدبية، وطوائفه الدينية والمذهبية؛ ووُضعت لها ضوابط وأعراف، وخُصصت لها أماكن وأسواق، ونشأت في فضائها فروع وتخصصات، وتحصلت منها لأصحابها أموال وثروات

في سنة 854هـ/1450م؛ أخرج العالِم الألماني يوهان غوتنبرغ للناس اختراعه "المطبعة". وبقدر ما كان هذا الإنجاز فتحا تقنيا غيّر وجه التاريخ الثقافي للعالَم؛ فإنه سجل أيضا بداية النهاية للمنظومة التي أبدعت أعظم ظاهرة ثقافية أهدتها الحضارة الإسلامية للإنسانية، وأنتجت أغنى تراث علمي عرفته البشرية حتى العصر الحديث؛ إنها ظاهرة: "الوِراقة والوراقين."

ومع أواسط القرن الثاني؛ انضم إلى نسخ القرآن جمعُ الحديث النبوي، وتوثيقُ فتاوى الصحابة والتابعين، وتدوينُ لغة العرب وأشعارها؛ فظهرت "مصنفات" في شتى العلوم، ومن أوائل تلك المؤلفات –مما وصل إلينا نصُّه موّثقَ النسبة– "الموطأ" للإمام

مالك بن أنس، و"الرسالة" للإمام الشافعي، و"المبسوط" للإمام محمد بن الحسن الشيباني، و"الكتاب" في النحو لسيبويه الفارسي، وقاموس "العين" للفراهيدي، و"مختارات" من أشعار العرب مثل "المفضليات" و"الأصمعيات".

وبحلول نهاية القرن الثاني؛ كانت "**صناعة الوِراقة**" –بتعبير ابن خلدون (ت 808هـ)– قد بلغت شأواً بعيدا في الانتشار وسلكت طريقها نحو الازدهار في القرن الثالث، بحيث تحددت فروعها بأنها شاملة "للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكُتبية والدّواوين" مثل بيع الورق والقراطيس، وصارت لهم "دكاكين" تضمها "أسواق الوراقين" التي "اختصّت بها الأمصار العظيمة العمران". وبعضهم عمل في مكتبات الدولة مثل "بيت الحكمة" ببغداد، و"دار العلم" بالقاهرة، و"خزانة العلوم" بقرطبة .

وقبل ابن خلدون بأربعة قرون؛ حدد أبو حيان التوحيدي (ت بعد 400هـ) –في رسالة لأحد أصدقائه– بعض أدوات صنعة الوراقة ومشمولاتها الداخلة في عمل الناسخين المجوِّدين؛ فذكر منها "الحبر والورق والجلد والقراءة والمقابلة والتصحيح". على أنه في عصور انحطاط الوراقة صار معروفا أن "غالب من يكون خطه حسنا لا يخلو عن الجهل".

ويكفي أن نتذكر أن الجاحظ –حسبما رواه صديقه الشاعر أبو هفّان العبدي (ت 257هـ)– كان "يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر". ووصف الرحالة المقدسي البشاري (ت 380) أهلَ الأندلس بأنهم "أحذق الناس في

الوراقة"، فراجت ببلادهم سوقها لما كان لهم بها من شغف واحتفال، حتى إن القاضي والوزير القرطبي أبا المطرف ابن فطيس (ت 402هـ) اتخذ "ستة وراقين دائمين" ينسخون له الكتب.

وأما الكتب التي وصلتنا نصوصها فقليلة وأبرزها: "كتاب التيسير في صناعة التسفير" لأبي عمرو بكر بن إبراهيم الإشبيلي (ت 629هـ)، ومنظومة "تدبير السفير في صناعة التسفير" لابن أبي حميدة.

وبعد هذه الرحلة الزاخرة الزاهرة؛ كان لا بد لقافلة الوراقين أن تضع عصا التسيار، وما كان لها أن تجد توقيتا أنسب لبدء العد التنازلي لتوقفها الإجباري من "لحظة غوتنبرغ"، تمهيدا لانقطاع مسيرتها النهائي بعد مرور قرنين ونصف على تلك اللحظة.

فبعد سبعة عقود من ظهور اختراع "المطبعة"؛ طرقت الطباعةُ بابَ لغة الضاد فدخلت عالمها بكتاب "صلاة السواعي" المسيحي الذي أصبح أول كتاب يطبع بالعربية سنة 919هـ/1514م. وبتمام الألفية الهجرية سنة 1000هـ/1592م؛

ظهرت باكورة كتب التراث الإسلامي المطبوع أولا بأوروبا: "الكافية" لابن الحاجب و"الآجرومية" و"نزهة المشتاق" للإدريسي، ثم كان أول كتاب من هذا التراث يُنشر مطبوعا في العالم الإسلامي ترجمة معجم "الصحاح" للجوهري إلى التركية، التي طُبعت سنة 1142هـ/1729م في إسطنبول بأول مطبعة تدخل بلاد الإسلام.

وانطلاقا من تبجيل واحترام الاسلام للعلم والعلماء ، قام المسلمون في الحضارة العربية الاسلامية بانشاء مؤسسات ومراكز علمية هامة في كل الأقطار التي وصلوا اليها، فمثلا كان الشريف الرضي (المتوفى عام 406 هـ- 1015م) قد اتخذ داراً سماها دار العلم ، وفتحها لطلبة العلم ، وعيّن لهم جميع ما يحتاجون إليه . ويدل مجرد اسم هذه المؤسسات على الفرق بينها وبين دور الكتب القديمة ، فكانت دار الكتب قديماً تسمى خزانة الحكمة ، وهي خزانة كتب ليس غير ، أما المؤسسات الجديدة فتسمى دور العلم ، وخزانة الكتب جزء منها .

وقد أنشئت في مصر أيضاً مثل هذه الدور ، فقد اشترى العزيز بالله الخليفة الفاطمي في سنة 378 هـ- 988 م داراً إلى جانب الجامع الأزهر ، وجعلها لخمس وثلاثين من العلماء . وكان هؤلاء يعقدون مجالسهم العلمية بالمسجد في كل يوم جمعة بعد الصلاة حتى صلاة العصر . **فالجامعة الأزهرية** التي هي أكبر معهد علمي إسلامي اليوم نشأت في القرن الرابع الهجري . وكان الوزير ابن كلسّ يحب أهل العلم والأدب ويقرّ بهم ، وكان يجري بأمر العزيز بالله ألف دينار في كل شهر على جماعة من أهل العلم والورّاقين والمجلّدين . ثم جاء الخليفة الحاكم بأمر الله ففتح في سنة 395 هـ الدار الملقّبة بدار العلم بالقاهرة ، وحمل الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة ، ودخل سائر الناس إليها يقرؤون وينسخون ، وأقيم لها خزّان وبوّابون ، ورتب فيها قوم يدرسون للناس العلوم ، ولكن الحاكم أبطل ذلك بعد قليل من الزمان . وكان في هذه الدار ما يحتاج الناس إليه من الحبر والأقلام والمحابر والورق ، وقد وصلت إلينا ميزانية هذه الدار ، فكان ينفق عليها في كل سنة 257 ديناراً من العين المغربي(آدم ميتز ، (1387هـ/1967م) ، ص: 330). وقد بقيت هذه الدار إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش ، لأنه اجتمع بها فريق من العلماء ، فاستفسد بعضهم عقول جماعة، وأخرجهم عن الصواب .

وكان الطلبة يحضرون كتبهم في شيء يسمى قارورة ، ولعلها سميت بهذا الاسم من قبيل الفكاهة العلمية .

وكان تغير طريقة التعليم سبباً في إيجاد نوع جديد من المؤسسات العلمية ، وذلك أنه لما انتشرت طريقة التدريس نشأت المدارس ، ولعل من أكبر الأسباب في ذلك أن المساجد لم يكن يحسن تخصيصها للتدريس بما يتبعه من مناظرة وجدل قد يخرج بأصحابه أحياناً عن الأدب الذي تجب مراعاته للمسجد ، فالقرن الرابع هو الذي أظهر هذه

المعاهد الجديدة التي بقيت إلى أيامنا . ويدل مجموع الأخبار التي انتهت الينا على أن نيسابور كانت مهد هذه المعاهد ، وكانت أكبر مراكز العلم في خراسان . ويقول الحاكم النيسابوري المؤرخ الثقة (المتوفى عام 406 هـ – 1015 م) صاحب تاريخ نيسابور إن أول مدرسة هي التي بنت لمعاصره أبي إسحاق الإسفراييني (المتوفى عام 418 هـ– 1027 م) بنيسابور . أما المدرسة التي بنيت لابن فورك (المتوفى عام 406 هـ) فهي أحدث عهداً من تلك المدرسة بقليل . وكان كل من الإسفراييني وابن فورك أشعرياً متحمساً ، فلا بد أن يكونا قد آثرا البحث في المسائل الكلامية ، بل آثرا طريقة التدريس على مجرد رواية الأحاديث .

على أنه كان بنيسابور رجل من كبار الأئمة وأولى الرياسة ، وهو أبو بكر البستي المتوفى عام 429 هـ – 1037م، وقد بنى لأهل العلم مدرسة على باب داره ، ووقف عليها جملة من ماله الكثير . وكان هذا الرجل من كبار المدرسين والمناظرين بنيسابور() آدم ميتز ، (1387هـ/1967م) ، ص:346).

هناك اتجاه إلى تفسير توقف العلم العربي بالإشارة إلى تطورات الجغرافيا السياسية ، بغزو المغول لشرق البلاد الإسلامية (في القرن الثالث عشر) واستعادة النصارى لإسبانيا (بدءا من القرن الحادي عشر) ولكن هذا التفسير يهمل مسار التطور العلمي في الحضارة العربية الإسلامية ، وبصدد حالة إسبانيا فإنه يشوه أهمية إسبانيا في الحضارة الإسلامية ، ثم إنه أخفق أيضا في تصور الطبيعة الفعلية لمؤسسات الحضارة الإسلامية بصدد حرية الفكر والبحث .

يقول توبي أ.هاف في كتابه فجر العلم الحديث انه لم تقم كليات إسلامية أو مدارس في إسبانيا قبل القرن الرابع عشر باستثناء واحدة في غرناطة في عام 1249 ، ولا شك أن هذه الاعتبارات لا تغفل محاكم التفتيش حين اضطهد كل من اليهود والمسلمين.

فضلا عن الشخصيات الفكرية البارزة في إسبانيا : ابن ماجه وابن رشد وابن ميمون ممن لهم أهميتهم بالنسبة للغرب بأكثر مما كانت لهم بالنسبة للحضارة العربية الإسلامية ، فابن رشد وابن ميمون كانا أستاذين في الأساليب الأدبية للتكتم والتعبير الرمزي الذي تطور في كل من الثقافتين الإسلامية واليهودية بسبب القيود الدينية ، وكما قال مونتجمري وات : مع أن كتاب ابن رشد كان معروفا في الشرق فإن وجهة نظره كانت غريبة على أولئك الذين اعتبروا أنه لم يقل لهم شيئا ، ومن المفارقات أنه قدرت مؤلفاته في الغرب وبخاصة تعليقاته على أسطو التى احتلت مكانة عليا ، وإلى جانب هذه التفاصيل عن المناقشات الفلسفية ينبغي أن نذكر أن الحضارة العربية الإسلامية دون إسبانيا (وبخاصة بعد سقوط قرطبة عام 1448 ونهائيا بعد عام 1492) استمرت وبقيت بالرغم من غزو التتار حتى غزو نابليون لمصر عام 1798(توبي أ. هف ، (1997) 219و220).

حقيقة لقد خرب التتار بغداد عام 1258 ولكن بقيت الحضارة الإسلامية صامدة منتصرة حيث أعيد إحياء الثقافة والمؤسسات وبقي هذا الجزء من العالم إسلاميا ، بل الأكثر من ذلك فإن هؤلاء الغزاة بقيادة هولاكو من الخارجين عن صميم أرض الإسلام هم الذين شجعوا بناء مرصد مراغة ، ومن ثم غذوا تطور النماذج الفلكية غير البطلمية للكون . إنه يمكن القول إن أواخر القرنين الثالث عشر والرابع عشر وبخاصة في دمشق والقاهرة تمثل ذروة التطور العلمي في الفلك والطب ، يمثل حجر الزاوية في الفلك ابن الشاطر في دمشق عام 1375 ، ومع أن خمسة وخمسين فلكيا بارزا على الاقل قد عاشوا بعد ابن الشاطر تحت حكم المماليك فإن أحدا منهم لم يستطع أن يستثمر أو يستفيد من إسهامات ابن الشاطر .

أما في الطب فهناك شواهد على أن دمشق والقاهرة كانتا مركز تجمع أطباء مشهورين من الدرجة الأولى في القرن الثالث عشر ، وهنا نشير إلى اكتشافات ابن القفد (1233) وابن النفيس (1210 – 1288) .

وخلاصة القول إن بعض أهم التطورات العلمية في الحضارة العربية الإسلامية قد قامت في أثناء أو بعد الفترة التي كان يفترض فيها أن تؤدي العوامل الجغرافية الخارجية إلى الانهيار ، ومن ثم فعلينا ان نشير إلى العوامل الداخلية المهمة التي أسهمت في تطور العلم ثم أن تخصص العوامل الخارجية والتي كانت سوسيولوجية في طبيعتها .

لقد كانت نماذج الأجرام التي طورتها مدرسة مراغة مناظرة رياضيا لنماذج كوبرنيكوس ، وهذا يعني استفادة كوبرنيكوس من زوج " الطوسي " كما فعل فلكيو مراغة .

إن نماذج الأجرام الطولية في التعليقات مستندة إلى نماذج ابن الشاطر بينما تلك المتعلقة بالأجرام العليا في كتاب الثورات قد استخدمت فيها نماذج مراغة .

إن النماذج القمرية لكوبرنيكوس ولمدرسة مراغة متطابقة ، ولا يمكن بعد هذه الحقائق المناقشة الجدية بأن العرب قد واجهتهم أخطاء رياضية ، كما لا يمكن الادعاء أنه كان يعوزهم الخيال النظري في الفلك أو البصريات أو الفيزياء، ففي الفيزياء يمكن أن نستعيد أصالة ابن ماجه وتعليقه على أسطو بصدد ديناميات الحركة في طريق مباشر يؤدي إلى نظرية جاليليو في سقوط الأجسام ، ولا يقلل من شأن ابن ماجه أن نقل من المحتمل إن أول من ابتكر النظرية هو الفيلسوف المسيحي من الأفلاطونية يوحنا فيلوبونس (النحوي) من مدرسة الإسكندرية في القرن السادس الميلادي، ولا تشير إلى ذلك أي مخطوطة عربية ، وإن كان من المحتمل أنه سمع عنها من التراث العربي .

أما في حالة الفلك فإن الاختلاف بين كوبرنيكوسوالأنساق العربية في جوهره ميتافيزيقي : الاختيار بين القول بمركزية الأرض أو الشمس موقف لا تحدده مقدمات تجريبية لتحسم الاختيار ، فضلا عن أن النجاح في هذه المحاولة يمكن أن ينسب إلى نجاح العرب في تحسين الهندسة الفضائية وحساب المثلثات ، وذلك أن إحراز هذه الأدوات الفنية أتاح للعرب أن يتجاوزوا الفلكيين الصينيين مما أدى إلى تعيين الفلكيين العرب في المكتب الفلكي الصيني في بكين في القرن الثالث عشر .

ان التراث العلمي العربي كان أكثر ثراء في تقنياته التجريبية من أي مكان آخر سواء في أوروبا أو في الشرق ، وذلك يتضمن – كما سبق أن ذكرت – ثلاثة علوم تجريبية مستقلة : البصريات والفلك والطب ، ففي البصريات فإن استخدام ابن الهيثم وتطويره للمنهج التجريبي يمكن النظر إليه على أنه واحد من أهم الإنجازات في تاريخ العلم كله، يدل على ذلك أثره الكبير في الغرب في مجال المناظر ، ومع أن هناك تأخيرا في نشره بعد تأليفه بين عامي 1028، 1038 فقد ظل أثره الواسع على الغرب حتى القرن السادس عشر ، فلقد استأنف ابن الهيثم في مؤلفه دراسة البصريات على نحو فارق فيه كل الكتاب السابقين ، وبدلاً من أن يلخص حكمة السابقين المتراكمة في هذا الموضوع فقد شرع في مفارقتهم للبحث عن كل الحالات الممكنة التي تجعل الرياضيات والاستدلال في خدمة خصائص الضوء والرؤية ، ولقد استخدم في ذلك مجموعة من الأجهزة التجريبية بما في ذلك غرف مظلمة بها فتحات محددة تتحكم في مسار الضوء من خلال أنابيب وغير ذلك ، ومن ثم فإن فكرة التجربة – التي أطلق عليها مصطلح الاعتبار – إنما تنبثق كأداة صريحة منسقة كوسيلة منهجية شاملة بما في ذلك استخدام يدوي للأدوات المركبة. (توبي أ. هف ، المرجع السابق .ص:22)

ومع أن بصريات ابن الهيثم قد ظلت مجهولة في العالم الإسلامي خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر حتى أنقذها نهائيا فيلسوف الطبيعيات كمال الدين الفارسي (ت 1320 حيث نجد لديه تطبيق منظار طيفي للمنهج

التجريبي لتفسير ظاهرة قوس قزح ، ولقد اخترع كمال الدين من أجل ذلك موقفا تجريبيا فريدا يمكن أن يثير أثر شعاع من الشمس على قطرة ماء ، ولقد توصل ألى ذلك بإيجاد مجال صغير مملوء بالماء في غرفة مظلمة يتحكم فيها في مسار الضوء ، وبذلك بين من خلال إيجاد هذا الموقف التجريبي أن قوس قزح هو نتيجة انكسارين وانعكاس من أشعة الضوء داخل قطرات الماء .

وقبل أن يحصل كمال الدين على نسخة من بصريات ابن الهيثم كانت هذه قد نقلبت إلى أوروبا – ربما عن طريق إسبانيا ، حيث ترجم إلى اللاتينية مؤثرا لأول مرة في روجر بيكون (1220 – 1292) ثم في كل الكتاب الكبار في البصريات بما في ذلك روبرت جروستست (1175 – 1253) وبيشام (1230 – 1292) وويتلو (ت 1275) وثيودريك أوف فريبورج (1250 – 1310) و ومع أن الفصول الثلاثة الأولى من الكتاب الأول لمناظر ابن الهيثم ليست في الترجمة اللاتينية ، ومن ثم فإن أبحاثه التجريبية الأولية عن الضوء قد حذفت فإن سائر الكتاب يوحي بمدخل تجريبي لأبحاث الضوء والظواهر البصرية ، وتبقى مصادفة ملحوظة ، أن ما قام به ثيودريك أوف فريبورج يلتقي تلقائيا ومستقلا (تقريبا عام 1204) مع نفس تجربة الفارسي بما في ذلك المجال المملوء بالماء ، إذ قدم نفس التفسير لظاهرة قوس قزح ، أي مرور الضوء من خلال قطرات الماء ثم انكسارين وانعكاس واحد لأشعة الضوء، ومن الملاحظ أيضا أن نفس هذه التجربة قد كررها ديكارت في القرن السابع عشر.

إن فكرة مقارنة الملاحظات لحالتين كانت موضع ممارسة علمية في الفلك ، فحسب رأي الدكتور عبد الحميد صبرة، هذا هو السياق الذي جذب أفكار ابن الهيثم عن الدليل التجريبي في البصريات الرياضية ، ولقد أشار كل من برنار جولدشتيد وجورج صليبا إلى الأمثلة الفلكية حيث قارن كل من الفلكيين اليهود والمسلمين بين النظرية والملاحظات.

وقد حدث تطور مماثل في التجربة في مجال الطب ، فقد وصف الرازي (ت 925 م) بأنه الكبيب الذي يرفض قبول قضايا لا تحققها التجربة ، كذلك فهمه للتجارب الدقيقة وتقاريره عن الملاحظات السريرية ونقده لسلطات مثل جالينوس، ومع أن النقد قد وجه إلى ابن سينا (ت 1037) لاستخفافه بأفكار وكتاب الرازي ، فإنها تبقى حقيقة أن المؤلف الضخم له في الطب " القانون " الذي ساد الميدان الطبي في أوروبا حتى القرن السادس عشر ، ويشير إلى أن كتاب " القانون " يحوي مجموعة من القواعد التي تحدد شروط استخدام التجربة واختبار الأدوية ، هذه القواعد هي في الواقع " مرشد " دقيق للتجارب العملية ، فضلا عن أهميتها في اكتشاف وبيان تاثير المواد الطبيعية.

ونستطيع القول أن العالم العلمي للإسلام كان ثريا بأفكاره التجريبية التي استفادوا بها في البصريات والفلك والطب، فلم تكن المشكلة افتقارا إلى تطور أو استخدام المنهج التجريبي ولا النظرية الرياضية ، وفضلا عن ذلك فلا شك في أنه حتى القرنين الثاني عشر والثالث عشر كان التوازن بين معرفة متكاملة وبين وجود من لديهم المواهب العلمية المدربة تدريبا جيداً يرجح العرب على الأوروبيين، يدل على ذلك أنه لم يكن في الغرب في هذه الفترة أي دارسين ممن لهم وزنهم في الفلك والأبحاث الكونية أو عاملين في دأب متصل بينما كان في المغرب الإسلامي مثل ابن ماجه (ت 1338 م) وابن طفيل (ت 1185 م) وابن رشد (ت 1198) والبتروجي (ت1200) وموسى ابن ميمون (ت 1204) ثم في المشرق الإسلامي الأردي (ت 1266 م) والطوسي (1174م) وقطب الدين الشيرازي (ت 1311) ، لا يعني ذلك أنه لم يكن هناك فلكيون أدوا إنجازات مهمة في الغرب خلال هذه الفترة ، وإنما كان لدى العرب من قبل خلال هذه الفترة ابن الشاطر الذي بلغ اللهدف في إيجاد نماذج رياضية كانت في تصميم كوبرنيكوس، وسواء أكان ام لم يكن في الحضارة العربية الإسلامية آنذاك مزايا فكرية خارقة في ماضيها العلمي والأدبي ، وإلى ان نقل تراثها واستوعبته حضارة الغرب ، فإنه من المعقول بل من المتوقع لهذه الإنجازات

الفكرية أن تتجاوز الغرب في المستقبل آنذاك ، ولكن ذلك ما لم يحدث ، ولم تكن المشكلة داخلية ولا علمية ولكنها كانت سوسيولوجية وثقافية ، إنها تتعلق بالمؤسسات ، إنه إذ امتد للفكر العلمي والابتكار الفكري أن يحيا على المدى البعيد في مجالات متعددة من الحرية فما عسى أن نسمي المناطق المحايدة و حيث تحيا مجموعات كبيرة من الناس لتتابع عبقرياتها بمنأى عن السلطات السياسية والدينية ، وفضلا عن أنه لا بد أن تواكب هذه الحرية قضايا معينة ميتافيزيقية وفلسفية ، فطالما تعلق الأمر بالعلم فإنه يجب أن يعتمد الأفراد العقل ، وأن ينظر إلى العالم على أنه كل معقول متسق فضلا عن مستويات مختلفة من التصور العالمي والمشاركة ، كما يجب أن يكون الحوار ميسرا ، هذه بالضبط كانت نقطة الضعف في الحضارة العربية الإسلامية التي حالت دون إنجاب العلم الحديث()توبي أ. هف ، المرجع السابق .ص:24) .

3- الخاتمة :

وخلاصة القول أنه حتى القرنين الثالث عشر والرابع عشر كان العلم العربي باحثا على الأمل في التطور إلى أقصى ما وصل إليه العالم من تقدم ، وفي حالة الفلك من الواضح أن هذه السيادة قد ظلت حتى منتصف القرن السادس عشر حين تجاوزت النماذج الفلكية لكوبرنيكوس فأبلغته نماذج ابن الشاطر ومدرسة مراغة ، حتى في الرياضيات كما أشار إلى ذلك أ.س كنيدي كانت الاحتكارات العلمية الكبيرة قائمة في الحضارة الإسلامية حتى أواخر القرن الخامس عشر. فان جميع أنواع الفلسفة الأوروبية اللاحقة تدين للكُتاب والعلماء العرب .

فقد أنشأ العرب المسلمون مؤسسات للتعليم العالي في مطلع القرن التاسع، وفي نهاية القرن الحادي عشر، كان هناك مؤسسات تعليمية تشبه الجامعية في معظم المدن الكبرى . كانت مدن اسبانية تحتضن اهم وارقى جامعات اوروبا . فقد بلغ عدد الطلاب الأوروبيين اللذين يدرسون في كلية الفقه (القوانين الاسلامية Islamic Jurisprudence)، ففي جامعة قرطبة وحدها أربعة الاف طالب وطالبة من مجموع عدد طلاب الجامعة الاجمالي وهو احدى عشر الف طالب وطالبة موزعين على كليات الجامعة المختلفة، كما يذكر العالم الغربي S.P.Scott. ان تخرج عشرات الآلاف من الطلاب الأوروبيين المختصين بدراسة الفقه، واضعاف هذا العدد من الكليات الأخرى في جامعة قرطبة والجامعات الاسلامية المنتشرة في مدن اسبانيا الاسلامية في جميع انواع المعرفة يعني ان القوانين الاسلامية وانجزات الحضارة الاسلامية الأخرى قد توطنت في اوروبا حتى اصبحت مكونا اساسيا من مكونات الثقافة الأوروبية كما يتضح لنا من اقوال الفارو Alvaro اسقف مدينة قرطبة . ان جامعة مونبيليه انشأها علماء مسلمون ثلاثة احدهم مختص بالطب والثاني مختص بالفلسفة والثالث مختص بالعلوم، وكذلك جامعة ساليرنو في جنوب ايطاليا . كما انشأ العرب جامعتي بادو وبيزا وقد كانت تدرس في هذه الجامعات مؤلفات علماء المسلمين في جميع ميادين المعرفة[1].

هكذا إذن، تتداخلُ الجذور في إنجاز مهمة تأزيم الفكر الإسلامي، وإنتاج نماذج بشرية واهنة لا تخدم أمتها، بقدر ما تخدم مشاريع تتصادم مع الروح الثقافية للأمة الإسلامية، وقد أسهمت هذه النخبة في تعطيل مشاريع الإقلاع الحضاري بخيانتها المزدوجة للأمة: **خيانة إنجازات المتقدمين من علماء المسلمين، وخيانة الروح الجماعية للأمة المسلمة** التي بقيت من دون قيادة، تحرّكها عواطفها تارة، وتحرّكها نوازعها الإيمانية تارة أخرى، من هنا فإنّ أي

[1]د. محمد حمدان ابو حسان، **فضل العرب على الغرب في تكوين الحضارة الانسانية** ، مقال حول الكتاب قدمه وليد سليمان صحيفة الرأي http://alrai.com/article/10460012 تاريخ النشر 22-11-2018

تفكير في تكوين فاعل إنساني جديد خارج أفق التجديد المعرفي وتفعيل القيم هو انحراف عن حقيقة المشكلة، وتبديد للطاقات العقلية والخلقية ضمن مشاريع تزيد إلى رصيد التخلّف رصيدا آخر من الاستتباع وفقدان الوُجهة.

5. المراجع:

القرآنالكريم

1. ابنعبدربه،ت 328هـ (1321هـ)،العقدالفريد،المطبعةالأزهريةالمصريةط1،ج3،
2. أحمدأمينالشجاع(2017)،فضلالإسلامعلىالحضارةالغربيةلمونتجومريوات،دارالشروق
3. أحمدمختارالعبادي(1968م)،تاريخالمغربوالأندلس،مؤسسةالثقافةالجامعية،الإسكندرية
4. آدمميتز، (1387هـ/1967م)

الحضارةالاسلاميةفيالقرنالرابعالهجريأوعصرالنهضةفيالاسلام،ترجمةمحمدعبدالهاديابوريدة،بيروت – نشردارالكتابالعربي،دارالكتابالعربي،الطبعةالرابعة.

5. الإشبيلي: ريحانةالألباب (مخطوط) ورقة 1139 0
6. توبيأ. هف، (1997) فجرالعلمالحديثالإسلاموالصينالغربترجمةمحمدعصفور، (الكويت) سلسلةعالمالمعرفةالعدد 219و220 طبعةثانية .
7. جورجمقدسي (2015)،نشأةالكليات،معاهدالعلمعندالمسلمينوفيالغرب،ترجمةمحمودسيدمحمدوتقديم: بشيرموسىنافع/ مداراتللأبحاثوالنشر/ طبعةالأولى .
8. جونثانليونز، (1435هـ/ 2014م.) بيتالحكمة (كيفاسسالعربلحضارةالغرب) ،ترجمةمازنجندلي،لبنان– الدارالعربيةللعلومناشرون،الطبعةالثانية،
9. حسانحلاق، (2012م) طرائقومناهجالتربيةوالتعليم،بيروت،دارالنهضةالعربية– طبعةرابعة
10. زغريدهونكه(1993م/1413هـ) ،شمسالعربتسطععلىالغرب"اثرالحضارةالعربيةفياوروبا" ترجمةفاروقبيضونوكمالالدسوقي،مراجعةمارونعيسىالخوري،بيروتنشروتوزيعدارالجيلزدارالآفاقالجديدة،الطبعةالثامنة.
11. عباسمحمودالعقاد(2013)،اثرالعربفيالحضارةالأوروبية،نشرمؤسسةهنداوي/ شركةكلماتللنشروالتوزيع– مصرالعربية –القاهرة.
12. عبدالحليممنتصر،(1971م)،تاريخالعلمودورالمعلمينالعربفيتقدمه،دارالمعارف –مصر،مطبعةدونبوسكو– الاسكندرية،ط4.
13. عبدالرحمنبنمحمدابنخلدون، (2019)مقدمةابنخلدون،تحقيق: هيثمجمعةهلاللبنان – بيروت،دارومكتبةدارالمعارفالطبعة1،مجلد1
14. عبدالرزاقبلعقروز،(2015)،جذورأزمتيالتربيةوالتّعليمفيالعالمالإسلامي،جامعةمحمدلمينديباغينسطيف– الجزائر
15. عبدالكريمالتواتي،(1967م)،مأساةانهيارالوجودالعربيفيالاندلس،مكتبةالرشاد–الدارالبيضاء،طبعةاولى.
16. عبدالبديععبدالله،(2020) ،مقالبعنوانفضلالعربعلىالغربنشرفيموقع: middle-east-online.com
17. غوستافلوبون، (2014)حضارةالعرب،الهيئةالمصريةالعامةللكتاب.
18. كريمعجيل،(1979) الحياةالعلميةفيمدينةبلنسية،دارالكتبوالوثائقالعراقية،مؤسسةالرسالة – بيروت .

19. محمدحمدانابوحسان،(2018)
فضلالعربعلىالغربفيتكوينالحضارةالانسانية،مقالحولالكتابقدمهوليدسليمانصحيفةالرأي
http://alrai.com/article/10460012تاريخالنشر 22-11-2018
20. محمودالمقداد،(1992) تاريخالدراساتالعربيةفيفرنسا، (الكويت) سلسلةعالمالمعرفة،العدد 167 تشرينالثاني
21. BLOCHET(E.)، Les sources orientales de la Divine Comedie، Paris،(1901)
22. LECELERC (L.)، Histoire de la medicine arabe، II، ed.، U.S.A.(1971)